

القول بوجود الفرجة عند القلب والإخفاء الشفوي



قال بعض أهل العلم بوجوب وجود فرجة بين الشفتين عند النطق بالإخفاء الشفوي كما في ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ﴾ الفيل ٤ ، وكذلك في القلب كما في قول الله تعالى ﴿أَنْ بُرِكَ﴾ ، ولا فرق بين الإخفاء الشفوي والقلب ، حيث ينطق في كل منهما بميم خالصة مخفأة قبل الباء مع إظهار الغنة ، والذي يتأمل في تفسير الظواهر التجويدية ، ويصل إلى الفهم الحقيقي لهذه الظواهر ، ويرجع إلى أقوال القدماء من أهل هذا الفن كإبن الجزرى والدانى وغيرهما ، ليصل إلى قناعة بعدم صحة الرأي القائل بالفرجة بين الشفتين عند الإخفاء الشفوي والقلب ، فالمقصود من إخفاء الميم في الإخفاء الشفوي والقلب ليس هو إعدامها تماماً بحدوث انفراجة بين الشفتين إنما المقصود هو إضعافها ، وذلك يحدث بعدم الانطباق التام للشفتين أو عدم الكز عليهما عند النطق بالميم المخفأة ، ذلك لأن الإخفاء والإظهار كلاهما يتحقق بانطباق الشفتين ، ولكن انطباقهما حال الإظهار أمكن وأقوى منه حال الإخفاء ، يقول المرعشى: « فالظاهر أن معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية بل إضعافها وستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان ، لأن قوة الحرف وظهور ذاته إنما هو بقوة الاعتماد على مخرجها ، وهذا كإخفاء الحركة في ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ إذ ذلك ليس بإعدام للحركة بالكلية ، بل تبغيضها ، وبالجملة إن الميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين ، والباء أدخل وأقوى انطباقاً كما سبق في بيان المخارج ، فنلفظ بالميم في نحو ﴿أَنْ بُرِكَ﴾ بغنة ظاهرة وتقليل انطباق الشفتين جداً ، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين لتقوية انطباقهما ، وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم » (١) .

(١) جهد المقل ، المرعشى ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، مؤسسة قرطبة ..

ومن النصوص التي أشارت إلى القول بانطباق الشفتين ، كلام الداني :
« وكذلك لا يشير إلى الحركة في الميم إذا لقيت مثلها أو باء ، وفي الباء إذا لقيت
مثلها أو ميماً ، بأي حركة تحرك ، ذلك لأن الإشارة تتعذر في ذلك من أجل
انطباق الشفتين ... » ^(١) .

ويقول الداني أيضاً في موضع آخر : « فإن التقت الميم بالباء ... فعلمنا أنها
مختلفون في العبارة عنها معها ، فقال بعضهم : هي مخفأة لانطباق الشفتين
عليهما كانطباقهما على إحداهما ، وهذا مذهب ابن مجاهد فيما حدثنا به الحسن
بن علي عن أحمد بن نصر عنه » ^(٢) . هذا وقال الإمام الضباع كلاماً يفهم منه
أن الإخفاء الشفوي والقلب يحدثان بانطباق الشفتين مما يفهم معه بأنه ضد
الفرجة في هذا الموضع ، يقول رحمه الله : « وليميز القارئ عند النطق به (أي
القلب) من كز الشفتين على الميم المقلوبة في اللفظة ، لثلاث يتولد من كزهما غنة
من الخيشوم ممطة ، فليسكن الميم بتلطف من غير ثقل ولا تعسف » ^(٣) .

خلاصة القول في هذا الأمر : أن الرأي القائل بوجوب الفرجة جانبه الصواب ،
والصحيح الموافق لقواعد التجويد والفهم الصحيح للظواهر التجويدية
هو الرأي القائل بانطباق الشفتين بدون كز عند النطق بالإخفاء الشفوي
والقلب ^(٤) .



(١) الداني ، التيسير في القراءات السبع ، ص ٢٤ ، دار الصحابة .

(٢) الداني ، التحديد في الإتيان والتسديد في صفة التجويد ، ص ٣٦٢ ، كلية اللغة العربية .

(٣) الإمام الضباع ، منحة ذي الجلال في شرح تحفة الأطفال ، ص ٢٩ ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث .

(٤) ومن الجهود الطيبة في الانتصار لهذا الرأي كتاب هداية القراء لوجوب إطباق الشفتين عند القلب والإخفاء ،
حمد الله حافظ الصفتي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث

إبدالهمزها خالصة عند تسهيلها



« الهمز أول الحروف خروجاً وهي تخرج من آخر الحلق ، مما يلي الصدر ، وهي من الحروف المجهورة ، ومن الحروف الشديدة ، وهي من الحروف الزوائد ومن حروف البذل ، والعرب يستقلونها ، ولا صورة لها في الخط تثبت عليها » ^(١) ، يتضح مما سبق من كلام مكى بن أبى طالب ، كيف أن العرب يستقلون النطق بالهمز ، وكان العرب إذا ما استقلوا حرفاً عملوا على تخفيف هذا الاستقلال ، ومن وسائلهم في ذلك الإبدال والتسهيل ، وما نراه من قلقه العرب لبعض الحروف المجموعة في (قطب جد) علاوة على ما في القلقلة من محافظة على الحرف من الخفاء وإظهار للحرف ، فإن العرب أيضاً يتخلصون بها من شدة هذه الحروف على جهاز النطق ، والهمز من الحروف الذى يحتاج إلى عناية خاصة عند النطق به ، يقول ابن الجزرى : « وهي حرف مجهور ، شديد ، منفتح ، مستقل ، لا يخالطها نفس وهي من حروف الإبدال ، وحروف الزوائد وهي لا صورة لها في الخط ، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة . والناس يتفاضلون في النطق بها على مقدار غلظ طباعهم ورقتها .

فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع ، وتنبو عنه القلوب ، ويثقل على العلماء بالقراءة ، وذلك مكروه يعيب من أخذه به . وروى عن الأعمش أنه كان يكره شدة النبرة يعنى - الهمزة - فى القراءة ، وقال أبو بكر بن عياش إمامنا يهمز ﴿ مُؤَصَّدَةٌ ﴾ فاشتبهى أن أسد أذننى إذا سمعته يهمزها ، ومنهم من يشدها فى تلاوته يقصد بذلك تحقيقها ، وأكثر ما يستعملون ذلك بعد المد

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكى بن أبى طالب القيسى ، دار الصحابة ، ص ٥٢ ، بتصرف



فيقولون : ﴿يَأْتِيهَا﴾ ، ومنهم من يأتي بها في لفظة مسهلة ، وذلك لا يجوز إلا فيما أحكمت الرواية تسهيله « (١) » .

وأما بالنسبة للتسهيل فقد قال مكى (٢) : « وينبغي لقارئ القرآن أن يتقيد من نفسه تجويد اللفظ بالهمزة المليئة بين بين (أى المسهلة) ، فيخرجها بين الهمزة المحققة والحرف الذى يجئ بها إليه ، نحو الهمزة الثانية في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ﴾ ، ﴿أَتْلَى﴾ ، ﴿أَذَا﴾ ، ﴿أَنَا﴾ ، ﴿أَيْفَا﴾ ، ﴿شُهِدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ﴾ . في قراءة نافع ومن تابعة من تخفيف الثانية في ذلك (أى تسهيلها) من كلمة أو كلمتين ، فيلفظ بالهمزة المضمومة بين الهمزة المضمومة والواو الساكنة ، وبالمكسورة بين الهمزة المكسورة والياء الساكنة ، وبالمفتوحة بين الهمزة المفتوحة والألف نحو ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ ، ﴿جَاءَ أَحَدَهُمْ﴾ « أعلى الهمزة المفتوحة الثانية » وفي الواقع فإننا نسمع الكثير من القراء ينطق بالهمزة المسهلة هاءً خالصة ، وهذا إبدال وليس بتسهيل ، فمن الناحية الصرفية يحدث أحياناً في بنية الكلمة حذف أو قلب لبعض حروفها وذلك لسبب صرفي . فإن وقع هذا القلب أو الحذف في حروف العلة سمي « إعلالاً » وإن كان في غيرها من الحروف سمي « إبدالاً » ، فالإبدال هو : جعل حرف مطلقاً مكان حرف آخر ، والإعلال هو : « تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه ، أما التسهيل فهو بخلاف ذلك وفيه نسهل الهمزة موضع التسهيل بين بين أى بين الهمزة المحققة وبين حرف المد المجانس لحركتها ، فإن كانت حركة الهمزة الفتحة يكون تسهيل الهمزة بين الهمزة والفتحة « وإن كانت مضمومة يكون تسهيلها بين الهمزة المخففة والواو ، وإن كانت مكسورة يكون تسهيلها بين الهمزة المخففة والكسر ، ومن هنا يظهر خطأ من يسهلون الهمزة بإبدالها هاءً ، وفي رواية حفص عن عاصم يقع التسهيل في كلمة ﴿أَنْجَحِي﴾ « من قول

(١) التمهيد في علم التجويد ، محمد بن محمد بن الجزري ، دار الصحابة ، ص ٤٤ ، ٤٣ .

(٢) الرعاية ، مكى بن أبى طالب القيسى ، دار الصحابة ، ص ٥٣ .

الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَتَعْجَمِيُّ وَعَرَبِيُّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادِرُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ (فصلت: ٤٤).
وأصلها (أعجمي) دخلت عليها همزة الاستفهام فصارت ﴿أَتَعْجَمِيُّ﴾
سهل حفص الهمزة الثانية بين بين لأن العرب كان يستثقلون ذلك ، وفي رواية
حفص من طريق توسط المنفصل وردت الرواية في بعض الكلمات بالإبدال
والتسهيل كذلك ، وذلك في :

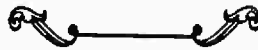
١- ﴿الذَّكْرَيْنِ﴾ (١٤٣، ١٤٤ الأنعام).

٢- ﴿الَّتَيْنِ﴾ (٥١ - ٩١ يونس).

٣- ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ (٥٩ يونس).

٤- ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾ (النمل ٥٩).

وردت الرواية في هذه المواضع لدى حفص بكلاً من الإبدال والتسهيل ، هذا
ويجب التنبيه على أن النطق الصحيح للتسهيل في ﴿أَتَعْجَمِيُّ﴾ وغيرها ، إنها
يعلم على الوجه الصحيح بالتلقى ومشافهة العلماء من أهل هذا التخصص.



عدم تدريسهم لقواعد التجويد



جرت عادة الكثير من معلمى التجويد على الاكتفاء بقيام الطالب بترديد آيات القرآن أمامه ، ثم يقوم الشيخ ببيان الأحكام المتعلقة بكل كلمة أو ربما بكل آية إجمالاً ، فيقول مثلاً في هذه الكلمة مد واجب متصل أو منفصل ، أو يقول هنا تفخيم أو ترقيق أو نحو ذلك ، ولقد عايشنا هذه الطريقة مع الكثير من الأساتذة فوجدتها لا تغير في مستوى الطالب على النحو المطلوب، فبعد عشرات السنوات من المدارس بهذه الطريقة لاحظت أن مستوى القراءة لم يتغير ولم يتحسن إلا في حدود ضعيفة جداً ، أما الغالب الأعم من الطلاب فمستواهم مع هذه الطريقة ثابت ولم يتحسن ، ولقد ذكرت مراراً وأكرر لتعم الفائدة أنه لا بد من تدريس القاعدة التجويدية للطلاب بشكل منفصل قبل تطبيقها على آيات القرآن بمصاحبة الطلاب ، فيأخذ المعلم مثلاً باب المدود فيقوم بتدريسه أولاً للطلاب فيبين لهم المدود التسعة المطلوبة ثم يشرحها شرحاً وافياً في حلقة أو في حلقات ، ثم يسأل الطلاب ليعرف مدى استذكارهم لها ، ثم يقوم بتطبيق هذه الأحكام على التلاوة بناءً على الشرح المسبق لها ، ثم ينتقل إلى مبحث آخر من مباحث علم التجويد كأحكام النون الساكنة والتنوين مثلاً فيشرحها شرحاً منفصلاً ويبين دقائقها وأسرارها في جلسات خاصة ويطلب التلاميذ بحفظها والتأكيد عليهم ، ومن ثم يقوم بتطبيق أحكامها على التلاوة مع الطلاب هي وما سبق تدريسه من القواعد ، وهكذا يتناول القواعد قاعدة تلو الأخرى حتى ينتهى من تدريس القواعد وتطبيقها ، أما أن يقوم بالسماع المباشر من التلاميذ دون تدريس لهذه القواعد ابتداءً كالمخارج والصفات وغيرها من الأحكام ، فإن ذلك يجعل حلقات الدراسة في الغالب ضعيفة الفائدة .

أيها الكرام : لا يكفي لتولى منصب الإمامة في هذا العلم والجلوس لتعليم الناس ونقل هذه الأمانة العظمى إليهم مجرد المعرفة السطحية لقواعد التجويد، بل يجب أن تتوفر شروطاً معينة لتولى هذا المنصب المهم ، وأنقل هنا كلاماً لمكي ابن أبي طالب القيسي فيمن يجب أن يتلقى عنهم القرآن : « يجب على طالب القرآن أن يتخذ لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم فإذا اجتمع للمقرئ صحة الدين ، والسلامة في النقل، والفهم في علوم القرآن ، والنفاذ في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن كملت حالة ووجبته إمامته ... ثم قال : « القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد ! فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً فذلك الخاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً ، فذلك الوهن الضعيف ... فنقل القرآن فطنة ودراية أحسن منه سماعاً ورواية ، فالرواية لها نقلها ، والدراية لها ضبطها وعلمها ، فإذا اجتمع للمقرئ النقل والفطنة والدراية وجبت له الإمامة وصحت عليه القراءة ، إن كان له مع ذلك ديانة » ^(١) ، ومما يجدر بيانه في هذا المقام بيان طرق الأخذ عن الشيوخ ، قال الشيخ الجريسي : « الأخذ عن الشيوخ على نوعين :

أحدهما : أن يسمع من لسان المشايخ وهو طريقة المتقدمين .

وثانيهما : أن يقرأ في حضرتهم وهم يسمعونها وهذا مسلك المتأخرين ، واختلف أيهما أولى ، والأظهر أن الطريقة الثانية بالنسبة إلى أهل زماننا أقرب إلى الحفظ . نعم الجمع بينهما أعلى لما ذكر في المصاييح أنه جرت السنة بين القراء أن يقرأ الأستاذ ليسمع التلميذ ثم يقرأ التلميذ لأن رسول الله ﷺ قال لأبي بن

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لحفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي ، دار الصحابة ، ص ٢٢ .

كعب عليه السلام : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك » ^(١) ، ولكن هذا لا يغنى أبداً عن تدريس قواعد التجويد ابتداء قبل الشروع في السماع ، لتعم الفائدة ويتحقق المطلوب .



(١) نهاية القول المفيد ، محمد مكي نصر الجريسي ، مكتبة الصفا ، ص ٢٠ .

عدم وضوح المنهج التدريسي



يتخذ كل مجود لكتاب الله عز وجل منهجاً خاصاً به يقوم من خلاله بتدريس قواعد التجويد لتلاميذه ، فيدرس بعضها ويترك البعض ، ولا يراعى بعضهم الترتيب ولا البدء بالموضوعات المهمة التي يبنى عليها غيرها من قواعد التجويد ، كما لا يراعى البدء بالقواعد البسيطة التي يتحملها من هم في بداية الطريق لتعلم التجويد وحفظ القرآن الكريم فالملاحظ مثلاً أن الكثير منهم تكون نقطة البداية لديهم تدريس أحكام النون الساكنة والتنوين ، وهذه الأحكام فيها تفريع وتحتاج إلى شيء من التركيز ، ولا يتفق جعلها بداية منهج تدريس التجويد مع ما يجب أن يحدثه العالم من جذب للطالب ، وجعله يتقبل قواعد وأحكام التجويد ويقبل عليها دون صدود ، كما أن أحكام النون الساكنة والتنوين والتي تنقسم إلى الإظهار والإدغام والإخفاء والقلب يتوقف الفهم الجيد لها ومعرفة أسبابها على دراسة المخارج والصفات ، إلا إذا كان الأستاذ سيدرس الأحكام تدريسياً ظاهرياً دون محاولة الغوص في فهم أسرار الظواهر التجويدية ، لذلك فكما قلت لا يتفق علماء التجويد على منهج موحد مرتب ترتيباً علمياً يدرسون من خلاله هذه الأحكام ، والذي يقال على منهج التدريس يقال كذلك على منهج التأليف ، فمنهم من يبدأ بأحكام النون الساكنة والتنوين ، ومنهم من يبدأ بغير ذلك ، لذلك فإني أرجو أن يكون وقت الاتفاق على منهج للتدريس والتأليف قد جاء أوانه ، وسوف أبين في هذا المنهج الموضوعات الرئيسة لعلم التجويد ، وهناك من التفرعات والموضوعات التي لا يضر المجود بأي منها يبدأ ، لذلك فكما بينت في هذا البحث فإن أول ما يجب أن يبدأ به القائم على تدريس التجويد هو باب المخارج ، وقد أظهرت لماذا يتركه الكثير دون تدريس ، وذكرت أسباب ذلك ، وكتبت خلاصة

باب المخارج دون خلافات بحيث يصبح من الممكن تدريسه في بداية منهج التجويد دون صعوبات ، ثم يقوم المعلم بتدريس باب الصفات ، وقد بينت في بداية البحث أيضاً لماذا يعزف عن تدريسه الكثير ، واستبعدت الخلافات ، وكتبت ما أجمع عليه الكثير من أئمة هذا العلم بطريقة سهلة ومبسطة ، ثم يبين المعلم بعد ذلك عيوب النطق بالحروف الهجائية وذلك بشكل مفرد ، فيبين عيوبها حرفاً حرفاً ، بحيث يتجنبها القارئ عند النطق بها ، ويبين كيف يخلص الحروف من الشوائب ، وهذا باب يعتبر من الأبواب المكملة للمخارج والصفات ، ثم ينتقل المجود بعد ذلك لتدريس نبذة مختصرة نظرية عن أحكام التفخيم والترقيق يبين فيها حروف التفخيم المجموعة في « خص ضغط قظ » وما عداها حروف مرققة ، ويبين أحكام تفخيم وترقيق الراء واللام ، ويطبق بعد ذلك أحكام التفخيم والترقيق على الكلمات والحروف تطبيقاً عملياً من أول المصحف إلى آخره .

ثم ينتقل بعد ذلك ومبتدئاً بالأيسر إلى تدريس أحكام الميم الساكنة ، ويصبح بعد ذلك من المناسب تدريس أحكام النون الساكنة والتنوين ، إذ سيكون الأمر أكثر وضوحاً للطالب ، إذ سيفهم السبب الذي من أجله حدث الإظهار وذلك بسبب تباعد المخارج ، سيفهم كذلك السبب الذي من أجله حدث الإدغام وهو اتحاد المخرج أو تقاربه ، وكذلك سيفهم لماذا حدث الإخفاء وكذلك القلب ، ثم ينتقل إلى تدريس باب المدود ، ثم يختم الأحكام الأساسية للتجويد بتدريس الوقف والابتداء ، وهو الباب الذي لا ينال العناية الكافية من المجودين والمحفظين لكلام رب العالمين ، وفي النهاية لابد من ذكر نبذة مختصرة عن رواية حفص ، مع التركيز على الطريقتين المشهورتين عن حفص ، وهما طريقا قصر المنفصل ، ومد المنفصل ، مع ذكر ما يترتب على الأخذ بكل واحد منهما من اختلافات .

إذن تتلخص خطوات المنهج التدريسي المقترح للموضوعات الرئيسة لعلم التجويد في الخطوات الآتية :-

- أ- تدريس مخارج الحروف .
- ب- تدريس صفات الحروف .
- ج- بيان عيوب النطق بالحروف حرفاً حرفاً ، وذكر كيفية تخليص الحروف من الشوائب .
- د- بيان ملخص نظري لأحكام التفخيم والترقيق ، أما التطبيق العلمي فسيكون أثناء التلاوة .
- هـ- تدريس أحكام الميم الساكنة .
- و- تدريس أحكام النون الساكنة والتنوين .
- س- بيان أحكام المدود .
- ص- شرح أحكام الوقف والابتداء .
- ع- شرح وتوضيح طرق حفص وخاصة طريقي مد وقصر المنفصل وطريق مد التعظيم .

